
التقية
مفهومها مدها ، دليلها
جعفر سبحانى


بسم الله الرحمن الرحیم

التقیه ، مفهومها مدها، دلیلها

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعهٔ:

موسسهالامامالصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

التقيه ، مفهومها مدها، دليلها

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نـام پدیـدآور : التقیه ، مفهومها مـدها، دلیلها/ تالیف جعفر سـبحانی تبریزی مشـخصات نشـر : قم موسسه الامام الصادق ع ، ۱۴۲۳ق = ۱۳۸۱.
مشخصات ظاهری : ص ۹۴
فروست : (سلسله المسائل الفقهیه۲۳)
شابک : ۹۶۴-۳۵۷-۱۰۸-۴۲۲۰۰ریال یادداشت : عربی یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : تقیه شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع
رده بندی کنگره : BP۲۲۶/۵/س۲ت۷
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۸
شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۴۷۳۶۷

مقدّمة المؤلّف

مقدّمـة المؤلّف بسم الله الرحمن الرحيم الحمـد للّه ربّ العـالمين، والصـلاة والسـلام على أفضـل خلقه وخاتم رسـله محمّـد وعلى آله الطيّبين الطاهرين الـذين هم عيبـة علمه وحفظـة سـننه. أمّا بعـد، فانّ الإسـلام عقيـدة وشـريعة، فالعقيدة هى الإيمان باللّه ورسله واليوم الآخر،والشـريعة هى الأحكام الإلهيـة التى تكفل للبشـرية الحياة الفضـلى وتحقّق لها السـعادة الدنيوية والأُخروية. وقد امتازت الشـريعة الإسـلامية بالشمول، ووضع الحلول لكافّة المشاكل التى تعترى الإنسان فى جميع جوانب الحياة قال سبحانه: (الْيوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلام دِيناً) .(۱) ______________

۱-المائدة: ۳ . (۶) غير أنّ هناك مسائل فرعيـة اختلف فيها الفقهاء لاختلافهم فيما أثر عن مبلّغ الرسالـة النبى الأكرم ـ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ، الأمر الّذى أدّى إلى اختلاف كلمتهم فيها، وبما أنّ الحقيقـة بنت البحث فقـد حاولنا فى هـذه الدراسات المتسلسلـة أن نطرحها على طاولة البحث، عسـى أن تكون وسيلة لتوحيد الكلمة وتقريب الخطى فى هذا الحقل، فالخلاف فيها ليس خلافاً فى جوهر الدين وأُصوله حتّى يستوجب العداء والبغضاء، وإنّما هو خلاف فيما روى عنه ـ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ، وهو أمر يسير فى مقابل المسائل الكثيرة المتّفق عليها بين المـذاهب الإسـلامية. ورائدنا فى هذا السبيل قوله سـبحانه: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَ لاَ تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً).(۱) جعفر السبحانى قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ ______________

۱-آل عمران: ۱۰۳ .

التقيّة من المفاهيم الإسلامية السامية

التقيّـة من المفاهيم الإسـلامية الساميـة تُعـدّ التقيـة من المفاهيم الإسـلامية الأصـيلة، المنسـجمة مع حكم العقل، وروح الإسـلام، ومرونة الشـريعة المقدسة وسـماحتها، وضـرورات العمل الإسـلامى، وقد وردت فى القرآن الكريم، وأكّدتها السنة الشريفة، وآمن بمشروعيتها

علماء المسلمين. ولا ريب فى أنّ الشيعة ـ و بحكم الظروف العصيبة التى حاقت بهم على امتداد فترات تاريخية طويلة ـ اشتهروا بالعمل بالتقية، واللّياذ بظلها كلما اشتدت عليهم وطأة القهر والظلم. وقد سعى الصائدون فى الماء العكر من حُكّام الجور والمغرضين والمتعصّبين إلى استغلال هذا الأمر، وذرّ الرماد فى العيون من خلال إيجاد تصوّرات وأوهام باطلة، وغرسها فى أذهان (٨)

الناس، بدعوى أنّ التقية عند الشيعة ضرب من النفاق والخداع والتمويه، وأنّها تجعل منهم منظّمة سرية غايتها الالتفاف على الإسلام وتشويه صورته وتهديم أركانه. إنّ العمل بالتقية والاحتراز عن الإفصاح عن المبادئ والأفكار لا يعنيان أبداً أنّ للشيعة أسراراً وطلاسم يتداولونها بينهم، ولا يتيحون للآخرين فرصة الاطلاع عليها ومعرفتها،ولا يعنيان أيضاً أنّ لهم نوايا عدوانية ضدّ الإسلام وأهله، وإنّما يتعلّق الأمر كلّه بإرهاب فكرى وسياسى مُورس ضدهم، وجرائم وحشية ارتكبت بحقهم، ألجاتهم إلى اتخاذ التكتّم والاحتراز أسلوباً لصيانة النفوس والأعراض والمحافظة عليها. ونحن إذا نظرنا إليهم فى بعض العهود التى استطاعوا أن يتنفسوا فيها نسائم الحرية، نجد كيف أنّهم بادروا وبنشاط إلى نشر أفكارهم وآرائهم وبثّ مبادئهم وتعاليمهم، وكيف أنّهم ساهموا ـ مع إخوانهم من سائر المذاهب والطوائف ـ فى صنع حضارة الإسلام الخالدة. وإذا كان الانصاف يدعو إلى تبرير موقف ضحايا القمع والاستبداد بالالتجاء إلى حمى التقية لضمان السلامة والتوقّى من (٩)

الشر المستطير... وإذا كان الضمير الحى يدعو إلى مواساة هؤلاء المظلومين الذين تُحصى عليهم أنفاسهم ويعانون أفانين الضغط والإكراه، وأشكال التضييق والمحاربة، فإنّ شيئاً من هذا ولا ذاك لم يحصل، بل حصل العكس، إذ عمد الكثير من أهل السنّة والجماعة ـ و مع الأسف ـ إلى الإغضاء عن الجزّارين أو معاضدتهم، وإلى التنديد بالضحايا والتشهير بهم!! وأخيراً، نحن نعتقد أنّ العمل بالتقية أمر لا مفرّ منه، وأنّ مجانبتها تماماً وفى كلّ الأحوال والعصور أمر لا واقع ولا حقيقة له. وأنت إذا رميت ببصرك إلى بعض الشعوب التى تحكمها أنظمة قمعية استبدادية، لوجدت أنّها ـ و فيها من هم من أهل السنّة ـ تتجنّب الإعلان عن آرائها وأهدافها جهرةً، و تسكت عمّا يُمارس بين ظهرانيها من أعمال منافية للإسلام، وما ذلك إلّا خوفاً من البطش والقتل والأذى الذى سيصيبها لو أنّها نطقت بما يخالف إرادة المستبدين. وهذه الرسالة المتواضعة، ستميط الستر عن وجه الحقيقة وتثبت ، انّ التقية ثمرة البيئة التى صودرت فيها الحريات، ولو كان (١٠)

هناك لومٌ وانتقاد، فالأجدر أن نتوجه بهما إلى من حمل المستضعفين على التقية، لا أنفسهم. وستتضح للقارئ فى غضون هذه الرسالة، انّ التقيّة من المفاهيم القرآنية التى وردت فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، وفى تلك الآيات إشارات واضحة إلى الموارد التى يلجأ فيها المؤمن إلى استخدام هذا المسلك الشرعى خلال حياته أثناء الظروف العصيبة، ليصون بها نفسه وعرضه وماله، أو نفسَ من يمتُّ إليه بصلة وعرضَه ومالَه، كما استعملها مؤمن آل فرعون لصيانة الكليم عن القتل والتنكيل(١) ولاذ بها عمّار عندما أُخذ وأُسِر و هُدِّد بالقتل (٢) ، إلى غير ذلك من الموارد الواردة فى الكتاب والسنّة، فمن المحتّم علينا أن نتعرّف عليها، مفهوماً (لغة و اصطلاحاً)، و تاريخاً وغايةً ودليلاً ـ وحدّاً، حتى نتجنّب الافراط والتفريط فى مقام القضاء والتطبيق. وتحقيق المسألة يتم ببيان أُمور:

---

١ . القصص: ٢٠.

٢ . النحل: ١٠٦. (١١)

التقية لغة

التقية لغة التقية اسم مصدر لـ«إتقى يتقى» و أصل اتقى: إوتقى فقلبت الواو ياءً للكسرة قبلها، ثمّ أُبدلت تاءً وادغمت وقد تكرر ذكر الاتقاء فى الحديث ومنه حديث على: «كنّا إذا احمّر البأس اتقينا برسول اللّه»، أى جعلناه وقاية لنا من العدو.(١) وقد أخذ «اتقى» من وقى الشىء، يقيه إذا صانه، قال اللّه تعالى: (فَوقاهُ اللّهُ سيّئاتِ ما مَكَرُوا)(٢) أى حماه منهم فلم يضرّه مكرهم. وربما تستعمل مكان

التقیة لفظة «التُّقاة» قال سبحانه: (لا یَتّخِذِ المُؤمِنُونَ الکافرینَ أولیاءَ مِنْ دُونِ ـــــــــــــــــــــ

۱ . النهایة: مادة وقی.

۲ . غافر:۴۵. (۱۲) المؤمِنینَ ومَن یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللّهِ فی شیْء إلاّ أن تَتَّقُوا مِنْهُم تُقاة).(۱) قرأ الأکثر «تقاة» إلاّ یعقوب فقرأ «تقیّة» وکلاهما مصدر لفعل اتقی«فتقاة، أصله «وقیة» أبدلت الواو تاءً کما أبدلوها فی تُجاة وتکاة وانقلبت الیاء الفاً لتحرکها وانفتاح ما قبلها، وهو مصدر علی وزن فُعل کتؤدد وتخمة.(۲) ـــــــــــــــــــــ

۱ . آل عمران:۲۸.

۲ . عن تعلیق أحمد محمد شاکر علی دائرة المعارف الإسلامیة:۵/۴۲۳. (۱۳)

التقیة اصطلاحاً

التقیة اصطلاحاً التقیة کما عرّفها السرخسی هی أن یقی الإنسان نفسه بما یظهره وإن کان ما یضمر خلافه.(۱) وقال ابن حجر: التقیة: الحذر من إظهار ما فی النفس من معتقد وغیره للغیر.(۲) وعرفها صاحب المنار بأنّها ما یقال أو یفعل مخالفاً للحقّ لأجل توقّی الضرر.(۳) وعرفها الشیخ محمد أبو زهرة بأنّها أن یخفی الشخص ما یعتقد دفعاً للأذی.(۴) ـــــــــــــــــــــ

۱ . المبسوط للسرخسی: ۲۵/۴۵.

۲ . فتح الباری:۱۲/۳۱۴، ط المکتبة السلفیة.

۳ . تفسیر المنار:۳/۲۸۰.

۴ . محمد أبو زهرة: الإمام الصادق:۲۵۵. (۱۴) والتعریف الثالث أشمل من الرابع لاختصاص الأخیر بالعقیدة وعمومیة الآخر لها وللفعل. وأمّا الشیعة فقد عرّفها الشیخ المفید بقوله: التقیة کتمان الحقّ وستر الاعتقاد فیه، ومکاتمة المخالفین وترک مظاهرتهم بما یعقب ضرراً فی الدین أو الدنیا. وفُرض ذلک، إذا علم بالضرورة أو قوی فی الظن، فمتی لم یعلم ضرراً بإظهار الحقّ ولا قوی فی الظن ذلک لم یجب فرض التقیة.(۱) وعرفها الشیخ الأنصاری بقوله: التحفّظ عن ضرر الغیر بموافقته فی قول أو فعل مخالف للحقّ.(۲)

ـــــــــــــــــــــ

۱ . شرح عقائد الصدوق:۶۶، ط تبریز.

۲ . رسالة التقیة للشیخ الأنصاری:۳۷. (۱۵)

التقیة تاریخیًّا

التقیة تاریخیّاً ربما یتصوّر لأول وهلة انّ للتقیة مبدأً تاریخیاً ظهر فی المجتمع الإنسانی، ولکن هذا التصور یجانب الحقّ، فظاهرةُ التقیة زامنت وجود الإنسان علی هذا الکوکب یوم برز بین البشر القویّ و الضعیف، وصادر الأوّل حریات الثانی ولم یسمح له بإبداء ما یضمره عن طریق القول والفعل. فظهور التقیة فی المجتمع البشری إذن، کان تعبیراً عن مصادرة الحریات، وسلاحاً لم یجد الضعیف بدّاً من الجوء إلیه للدفاع عن نفسه وعرضه وماله. ۱. التقیّة فی عصر الکلیم وأظهر مورد تبنّاه القرآن الکریم فی هذا الصدد هو (۱۶) مؤمن آل فرعون، یقول اللّه تعالی: (وَقالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِنْ آلِ فِرعَوْنَ یکْتُمُ إیمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أن یَقُولَ رَبّی اللّهُ وقَدْ جاءَکُمْ بِالبَیِّنات مِنْ رَبِّکُمْ وَإن یَکُ کاذِباً فَعَلَیْهِ کَذِبُهُ وَإن یَکُ صادِقاً یُصِبکُمْ بَعْضُ الّذِی یَعِدُکُم إنَّ اللّهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ کَذّاب).(۱) وکانت عاقبة أمره أن(فَوقاهُ اللّه سیّئاتِ ما مَکَرُوا وحَاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذاب).(۲) وما کان ذلک إلاّ لأنّه بتعمیته، استطاع أن ینجّی نبیَّ اللّه من القتل کما یحکیه سبحانه عنه ویقول: (قالَ یا مُوسی إنَّ المَلأَ یَأتمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجْ إنّی لَکَ مِنَ النّاصِحِین).(۳) نقل الثعلبی عن السدی و مقاتل انّ مؤمن آل فرعون کان ابن عم فرعون و هو الذی أخبر اللّه تعالی عنه فقال: (وجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی

المَدِينَةِ يَسْعَى).(۴) ______________

۱ . غافر:۲۸.

۲ . غافر:۴۵ .

۳ . القصص:۲۰.

۴ . القصص:۲۰. (۱۷) وقـال آخرون: كـان إسـرائيلياً، ومجاز الآيـة:« وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعونْ، واختلفوا أيضاً فى اسمه. فقال ابن عباس وأكثر العلماء: اسـمه حزبيل. وقال وهب بن منبه: اسـمه حزيقال. وقال ابن إسحاق: خبرل.(۱) ۲. التقيهٔ فى عصر الرسول هنـاك حوادث تاريخيـهٔ تـدلّ على شـرعيهٔ التقيـهٔ فى عصـر الرسول – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ نكتفى بهـذين النموذجين: ۱.يقول سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمان).(۲) قال المفسرون: قد نزلت الآيهٔ فى جماعهٔ أُكْرِهُوا على الكفر، وهم عمّـار و أبوه ياسـر وأُمّه سُـميّهٔ، و قُتـل الأـبوان لأنّهمـا لم يُظهرا الكفر ولم ينالا ـ من النبى، وأعطـاهم عمّـارُ مـا أرادوا

____

۱ . تفسير الثعلبى:۸/۲۷۳.

۲ . النحل:۱۰۶. (۱۸)

منه فأطلقوه، ثمّ أخبر بذلك رسول اللّه، وانتشـر خبره بين المسلمين، فقال قوم: كفر عمار، فقال الرسول – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «كلاّـ انّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قـدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه». وفى ذلك نزلت الآيـهٔ السابقـهٔ، وكان عمّار يبكى، فجعل رسول اللّه يَمْسَـحَ عينيه ، ويقول:« إن عـادُوا لك فعُـد لهم بما قلت».(۱) ۲. أخرج ابن أبى شـيبهٔ عن الحسن، انّ مسـيلمهٔ الكذاب أخذ رجلين من أصـحاب رسول اللّه – صلَّى الله عليه وآله وسـلَّم ـ فقال لأحدهما: أتشهد انّ محمّداً رسول اللّه؟ قال: نعم، قال: أفتشهد أنّى رسول اللّه؟ قـال: نعم، ثمّ دعـا بالآخر فقال: أتشـهد أنّ محمّـداً رسول اللّه؟ قال: نعم، فقال له: أفتشـهد انّى رسول اللّه؟ قال: إنّى أصمّ. قالها ثلاثاً، كل ذلك يجيبه بمثل الأوّل، فضـرب عُنقُه، فبلغ ذلك رسول اللّه – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فقال: أمّا ذلك المقتول فقد

____

۱ . مجمع البيان:۳/۳۸۸ (۱۹)

مضـى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضله، فهنيئاً له. وأمّا الآخر فقبلَ رخصهٔ اللّه فلا تبعهَ عليه.(۱) ۳. التقيهٔ بعد رحيل الرسول – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ قد اسـتغل الأمويُّون مسألهٔ القضاء والقدر وركّزوا على أنّ كلّ ما يجرى فى المجتمع الإسلامى بقضاء و قدر من اللّه سبحـانه وليس لأحـد فيه الاختيار ولا الاعتراض، وعلى ذلك فالفقر المـدقع السائـد بين أكثر المسـلمين تقـدير من اللّه، والترف الـذى يعيشه الأمويون، والظلم الذى يُلحقونه بالمسلمين تقدير من اللّه. ولما كانت تلك المزعمهٔ مخالفهٔ لضرورهٔ الدين وبعثهٔ الأنبياء، قام غير واحد بوجه هذه الفكرهٔ، وسكت كثيرون خوفاً من بطش الأمويين، فكتموا عقيدتهم وسلكوا مسلك ______________

۱ . مسـند ابن أبى شيبهٔ:۱۲/۳۵۸، ط السلفيهٔ ;التبيان:۲/۴۵۳، وقـد علق الطوسـى على الروايهٔ وقال: وعلى هذا التقيهٔ رخصهٔ، والافصاح بالحق فضيلهٔ، وظاهر أخبارنا يدلّ على انّها واجبهٔ، وخلافها خطأ وسيوافيك أنّها على أقسام خمسهٔ. (۲۰)

التقيّهٔ. ۱. هذا هو ابن سعد يروى عن الحسن البصرى بانّه كان يخالف الأمويين فى القدر بالمعنى الذى تتبنّاه السلطهٔ آنذاك فلما خوّفه بعض أصدقائه من السلطان، وعد أن لا يعود. روى ابن سعد فى طبقاته عن أيوب قال: نازلت الحسن فى القدر غير مرهٔ حتّى خوّفته من السـلطان، فقال: لا أعود بعد اليوم.(۱) ۲. كتب المأمون إلى إسـحاق بن إبراهيم رئيس الشـرطهٔ فى بغداد أن يُشخص إليه سبعهٔ نفر من المحدثين منهم: ۱. محمد بن سـعد كاتب الواقدى، ۲. أبو مسـلم، مستملى يزيد بن هارون، ۳. يحيى بن معين، ۴. زهير بن حرب أبو خثيمهٔ، ۵. إسماعيل بن داود، ۶. إسـماعيل بن أبى مسعود، ۷. أحمـد بن الـدورقى فامتحنهم المأمون وسألهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعاً انّ القرآن مخلوق فأشخصهم إلى مدينهٔ ______________

۱ . طبقات ابن سعد:۷/۱۶۷، ط بيروت. (۲۱)

السلام، وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره فشهّر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث فأقرّوا بمثل ما أجابوا به المأمون فخلّى سبيلهم. وقد فعل إسحاق بن إبراهيم ذلك بأمر المأمون. يذكر أن الرأى الذى كان سائداً بين المحدّثين هو قدم القرآن أو عدم حدوثه ولكنّهم اتّقوا واعترفوا بخلق القرآن، و هذا هو نفس التقية التى يعمل بها الشيعة، وقد مارسها المحدِّثون فى عصر المأمون. وهناك رسالة أُخرى للمأمون إلى إسحاق بن إبراهيم رئيس الشرطة، وممّا جاء فيها: وليس يَرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة(القرآن ليس بمخلوق) حظاً فى الدين ولا ـ نصيباً من الإيمان.... فلما جاءت الرسالة إلى إسحاق بن إبراهيم أحضر لفيفاً من المحدّثين ربما يبلغ عددهم إلى ۲۶ فقرأ عليهم رسالة المأمون مرتين حتّى فهموها ثمّ انّ إسحاق دعا بهم رجلًا رجلًا فأجاب القوم كلّهم واعترفوا بانّ القرآن مخلوق إلّا أربعة نفر منهم: (۲۲) أحمد بن حنبل، وسجادة، والقواريرى، ومحمد بن نوح المضروب، فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشُدُّوا فى الحديد، فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون فى الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة إلى أنّ القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده وخلّى سبيله وأصرّ الآخرون على قولهم. فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضاً فأعاد عليهم القول، فأجاب القواريرى بأنّ القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده وخلّى سبيله، وأصرّ أحمد بن حنبل و محمد بن نوح على قولهما ولم يرجعا فشدّا جميعاً فى الحديد ووُجِّها إلى طرسوس وكتب معهما كتاباً بإشخاصهما. ثمّ لما اعتُرض على الراجعين عن عقيدتهم، برّروا عملهم بعمل عمار بن ياسر حيث أكره على الشرك وقلبه مطمئن بالإيمان.(۱) كلّ ذلك يدلّ على انّ التقية أصل مشروع التزم بها المسلمون عند الشعور بالضعف أمام السلطة الغاشمة. ________________

۱ . لاحظ تاريخ الطبرى:۷/۱۹۷، حوادث ۲۱۸هـ (۲۳) وبذلك يظهر انّ اتهام الشيعة بتفرّدها بالقول بالتقية يضادُّ الذكر الحكيم والسنة النبوية وسيرة المسلمين عبر التاريخ. إنّ التقية سلاح الضعيف، سلاح من صُودرتْ حقوقه وحرّياته من قبل سلطة غاشمة، قاهرة، لاـ تُبدى أية مرونة فى مواقفها، وهذا هو حكم العقل وهو دفع الضرر عن النفس والنفيس بإظهار الموافقة لساناً وعملًا حتّى يرتفع الضرر ثمّ يعود الإنسان إلى ما كان عليه. ومثل هذا لا يمكن أن يختص بفرقة دون أُخرى. (۲۴)

محنة الشيعة فى عصر الأمويين والعباسيين

محنة الشيعة فى عصر الأمويين والعباسيين اشتهرت الشيعة بالتقيّة أكثر من سائر الفرق، ولكونهم أكثر من غيرهم من حيث التعرّض للضغط، ومصادرة الحريّات، بالظنّة، والتشريد وقتل تحت كلّ حجر ومدر. إنّ الذى دفع بالشيعة إلى التقية بين إخوانهم وأبناء دينهم إنّما هو الخوف من السلطات الغاشمة، فلو لم يكن هناك فى غابر القرون ـ من عصر الأمويين ثمّ العباسيين والعثمانيين ـ أىُّ ضغط على الشيعة، ولم تكن بلادهم وعُقر دارهم مخضّبة بدمائهم (والتاريخ خير شاهد على ذلك)، لأصبح من المعقول أن تَنْسى الشيعة كلمة التقية وأن تحذفها (۲۵)

من قاموس حياتها، ولكن ـ يالالأسف ـ إنّ كثيراً من إخوانهم كانوا أداة طيّعة بيد الأمويين والعباسيين الذين كانوا يرون فى مذهب الشيعة خطراً على مناصبهم، فكانوا يؤلِّبون العامة من أهل السنّة على الشيعة يقتلونهم ويضطهدونهم وينكلون بهم، ولذا ونتيجة لتلك الظروف الصعبة، لم يكن للشيعة، بل لكل من يملك شيئاً من العقل وسيلة إلّا اللجوء إلى التقية أو رفع اليد عن المبادئ المقدّسة التى هى أغلى عنده من نفسه وماله. والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى أو أن تعدَّ، إلّا أنّا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلك ما كتبه معاوية بن أبى سفيان باستباحة دماء الشيعة أينما كانوا وكيفما كانوا، وإليك نص ما ذكرته المصادر عن هذه الواقعة لتدرك محنة الشيعة: محنة الشيعة فى العصر الأموى روى أبو الحسن على بن محمّد بن أبى سيف المدائنى فى كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عُمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من (۲۶)

فضل أبى تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء فى كل كورة، وعلى كل منبر، يلعنون علياً ويتبرأون منه ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان

أشد الناس بلاء حینئذ أهل الکوفة، لکثرة مَن بها من شیعة علی ـ علیه السَّلام ـ فاستعمل علیها زیاد بن سمیة، وضم إلیه البصرة، فکان یتتبّع الشیعة وهو بهم عارف، لأنّه کان منهم أیام علی ـ علیه السَّلام ـ، فقتلهم تحت کل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأیدی والأرجل، وسَمَلَ العیون، وصلبهم علی جذوع النخل، وطردهم وشرَّدهم عن العراق، فلم یبق بها معروف منهم، وکتب معاویة إلی عمّاله فی جمیع الآفاق: ألاّ یجیزوا لأحد من شیعة علی وأهل بیته شهادة. ثمّ کتب إلی عمّاله نسخة واحدة إلی جمیع البلدان: انظروا من قامت علیه البیّنة أنّه یحبّ علیاً وأهل بیته، فامحوه من الدیوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلک بنسخة أُخری: مَن اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنکّلوا به، واهدموا داره. فلم یکن البلاء أشد ولا أکثر منه بالعراق، ولا سیّما بالکوفة حتّی أنّ الرجل من شیعة علی ـ علیه السَّلام ـ لیأتیه من یثق به، (۲۷)

فیدخل بیته، فیُلقی إلیه سرّه، ویخاف من خادمه ومملوکه، ولایحدّثه حتی یأخذ علیه الأیمان الغلیظة، لیکتمنَّ علیه. وأضاف ابن أبی الحدید: فلم یزل الأمر کذلک حتی مات الحسن بن علی علیهما السَّلام ، فازداد البلاء والفتنة، فلم یبق أحد من هذا القبیل إلاّ وهو خائف علی دمه، أو طرید فی الأرض. ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسین ـ علیه السَّلام ـ، وولی عبد الملک بن مروان، فاشتد علی الشیعة، وولّی علیهم الحجاج بن یوسف، فتقرَّب إلیه أهل النسک والصلاح والدین ببغض علی وموالاة أعدائه، وموالاة من یدعی من الناس أنّهم أیضاً أعداؤه، فأکثروا فی الروایة فی فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأکثروا من البغض من علی ـ علیه السَّلام ـ وعیبه، والطعن فیه، والشنآن له، حتی أنّ إنساناً وقف للحجاج ـ ویقال إنّه جد الأصمعی عبد الملک بن قریب ـ فصاح به: أیّها الأمیر إنّ أهلی عقونی فسمّونی علیاً، وإنّی فقیر وبائس وأنا إلی صلة الأمیر محتاج، فتضاحک له الحجاج، وقال: للطف ما توسّلتَ به، قد ولّیتک (۲۸)

موضع کذا.(۱) واستمر الحزب الأموی فی الإرهاب وسفک الدماء علی امتداد مراحل وجوده فی السلطة، حیث سجّل لنا التاریخ حوادث أُخری تحکی أبشع صور الإرهاب والاستخفاف بقیم الحق والعدل أیام عبد الملک بن مروان وقتله سعید بن جبیر. وقد جاء فی کتاب عبد الملک بن مروان الذی ولّی فیه خالد بن عبد اللّه القسری: أمّا بعد، فانّی ولّیت علیکم خالد بن عبد اللّه القسری، فاسمعوا له وأطیعوا، ولا یجعلن امرؤ علی نفسه سبیلاً، فإنّما هو القتل لا غیر، وقد برئت الذمة من رجل آوی سعید بن جبیر، والسلام. ثمّ التفت إلیهم خالد، وقال: والذی نحلف به، ونحجُّ إلیه، لا أجده فی دار أحد إلاّ قتلته وهدمت داره ودار کلّ من جاوره واستبحت حرمته،وقد أجلّت لکم فیه ثلاثة أیّام.(۲) ________________

۱ . شرح نهج البلاغة:۱۱/۴۴ـ ۴۶.

۲ . الإمامة والسیاسة:۲/۴۷، ط مصر. (۲۹) ثمّ یُلقی القبض علی سعید بن جبیر الذی کان من طلائع الموالین لآل البیت النبوی، ویُسلَّم إلی الحجاج السفّاح الشهیر فی تاریخ الإسلام الذی قتل عشرات الآلاف من معارضی السلطة، فیقتله. وهذا هو الإمام الباقر ـ علیه السَّلام ـ یصف بیئته والمجتمع الذی کان یعیش فیه حیث قال لبعض أصحابه: یا فلان، ما لقینا من ظلم قریش إیانا، وتظاهرهم علینا، وما لقی شیعتنا ومحبونا من الناس... ـ إلی أن قال ـ ثمّ لم نزل ـ أهلَ البیت ـ نُستذل ونُستضام، ونُقصی ونُمتهن، ونُحرم ونُقتل، ونخاف ولاـ نأمن علی دمائنا ودماء أولیائنا، ووجد الکاذبون الجاحدون، لکذبهم وجحودهم موضعاً یتقربون به إلی أولیائهم، وقضاة السوء وعمال السوء فی کلّ بلدة، فحدثوهم بالأحادیث الموضوعة المکذوبة ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله، لیبغّضونا إلی الناس، وکان عُظم ذلک وکبره زمن معاویة بعد موت الحسن ـ علیه السَّلام ـ فقتلت شیعتنا بکلّ بلدة، وقطعت الأیدی و الأرجل علی الظنة، وکان من یذکر بحبنا (۳۰)

والانقطاع إلینا سُجن أو نُهب ماله، أو هدمت داره، ثمّ لم یزل البلاء یشتد ویزداد إلی زمان عبید اللّه بن زیاد قاتل الحسین ـ علیه السَّلام ـ ثمّ جاء الحجاج فقتلهم کلّ قتلة وأخذهم بکلّ ظنة وتهمة، حتّی انّ الرجل لیقال له زندیق أو کافر أحبّ إلیه من أن یقال شیعة علی.(۱) محنة الشیعة فی العصر العباسی لقد مارست السلطة العباسیة سیاسة البطش والقتل والتشرید کنظیرتها السلطة الأمویة بل کانت أکثر بطشاً وتنکیلاً ـ وهذا هو أبو الفرج الاصفهانی یقول فی حقّ المتوکل: کان المتوکل شدید الوطأة علی آل أبی طالب،

غليظاً فی جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم... واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجی، فمنع آل أبی طالب من التعرض لمسألة الناس ______________

۱ . شرح ابن أبی الحديد:۱۱/۴۳ـ ۴۴. (۳۱)

ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه انّ أحداً أبرّ أحداً منهم بشیء، وإن قل إلّا أنهكه عقوبة، واثقله غرماً، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة ثمّ يرقعنه، ويجلسن على مغازلهن عواری حاسرات.(۱) هكذا شاء أميرالمؤمنين المتوكل على اللّه، أن تقبع العلويات فی بيوتهن عاريات يتبادلن القميص المرقع عند الصلاة، وان تختال الفاجرات العاهرات بالحلی وحلل الديباج بين الاماء والعبيد... لقد أرسل الرشيد إلى بنات الرسول من يسلب الثياب عن أبدانهن، أمّا المتوكّل فقد شدد و ضيق عليهن، حتّى ألجأهن إلى العری، وهكذا تتطور الفلسفات والمناهج مع الزمن على أيدی القرشيين العرب أبناء الأمجاد والأشراف! لقد تفرق العلويون أيام المتوكل، فمنهم من توارى فمات فی حال تواريه كأحمد بن عيسى الحسين و عبد اللّه بن ______________

۱ . مقاتل الطالبيين:۳۹۵ـ ۳۹۶. (۳۲)

موسى الحسينی، و منهم من ثار على القهر والجور كمحمد بن صالح و محمد بن جعفر. ولم يكتف المتوكل بالتنكيل بالأحياء، حتّى اعتدى على قبور الأموات فهدم قبر الحسين ـ عليه السَّلام ـ وما حوله من المنازل والدور، ومنَع الناس من زيارته ونادى مناديه من وجدناه عند قبر الحسين ـ عليه السَّلام ـ حبسناه فی المطبق ـ سجن تحت الأرض ـ فقال الشاعر: تاللّه إن كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوماً فلقد أتاه بنو أبيه مثلها * هذا لعمرك قبره مهدوماً أسفوا على أن لاـ يكونوا شايعوا * فی قتله فتّبعوه رميماً (۱)

____

۱ . الشيعة والحاكمون:۱۶۹ـ ۱۷۰. (۳۳) نعم كانت التقية بين الشيعة تزداد تارة وتتضاءل أُخرى، حسب قوّة الضغط وضآلته، فشتّان بين عصر المأمون الذی يجيز مادحی أهل البيت، ويكرم العلويين، وبين عصر المتوكل الذی يقطع لسان ذاكرهم بفضيلة. فهذا ابن السكيت أحد أعلام الأدب فی زمن المتوكل، وقد اختاره معلّماً لولديه فسأله يوماً: أيّهما أحبُّ إليك ابنای هذان أم الحسن والحسين؟ قال ابن السكيت: واللّه إنّ قنبر خادم علی ـ عليه السَّلام ـ خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات. ولما مات سيَّر المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال: هذه دية والدك!! (۱) وهذا ابن الرومی الشاعر العبقری يقول فی قصيدته التی يرثی بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علی: ______________

۱ . ابن خلكان: وفيات الأعيان: ۳/۳۳. الذهبی: سير أعلام النبلاء : ۱۲/۱۶. (۳۴) أكلّ أوان للنبیّ محمّد * قتيل زكیّ بالدماء مضرَّجُ بنی المصطفى كم يأكل الناس شلوكم * لبلواكم عمّا قليل مفرِّجُ أبعد المكنّى بالحسين شهيدكم * تضیء مصابيح السماء فتسرجُ (۱) وكان العباسيون أشدّ كرهاً للعلويين من الأمويين، وأعظم بغضاً فأمعنوا فيهم قتلاً وحرقاً واضطهاداً وتعذيباً، فهذا هو المنصور يُحمل إليه من المدينة كلّ من كان فيها من العلويين مقيدين بالسلاسل والأغلال، ولما وصلوا إليه حبسهم فی سجن مظلم لا يعرف فيه ليل من نهار، و كان إذا مات أحدهم تُرك معهم و أخيراً أمر بهدم السجن عليهم، وفی ذلك يقول أحد شعراء الشيعة:

____

۱ . ديوان ابن الرومی : ۲/۲۴۳. (۳۵) واللّه ما فعلت أمية فيهم * معشار ما فعلت بنو العباس وقال آخر: يا ليت جور بنی مروان دام لنا * وليت عدل بنی العباس فی النار(۱) وقال أبو فراس: ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت * تلك الجرائم إلّا دون نيلكم وقال الشريف الرضی: ألا ليس فعل الأولين وإن علا * على قبح فعل الآخرين بزائد وقال الشيخ الطوسی الذی كان يعيش فی عصر ازدهار الخلافة العباسية، وهو يصف حال الشيعة : لم تلق فرقة ولا بُلی أهل مذهب بما بُليت به الشيعة، حتّى إنّا لانكاد نعرف زماناً تقدّم سلمت فيه الشيعة من ______________

۱ . الشعر لأبی عطاء السندی. (۳۶)

الخوف و لزوم التقيـة، ولاـ حالاً عريت فيه من قصـد السـلطان وعصبيته وميله وانحرافه.(۱) هذه لمحة خاطفة لمحنة الشـيعة في العصـر العباسـي وقد دام الأمر على هذه الوتيرة في العصور المتأخرة لاسـيما في عصر الأيوبيين والعثمانيين. محنة الشيعة في العصرين: الأيوبي والعثماني ما إن انتزع صلاح الدين الأيوبي الملك من الفاطميين حتّى قام بعزل القضاة الشيعة واستناب عنهم قضاة شافعيـة، وأبطل من الأـذان«حي على خير العمـل» وتظاهر الناس بمـذهب مالك والشافعي، واختفى مـذهب التشـيع إلى أن نسـي من مصـر، و كان يحمل الناس على التسنن وعقيدة الأشعري، ومن خالف ضربت عنقه، وأمر أن لاتقبل شهادة أحد ولا يقـدم للخطابة ولا للتدريس إلّا إذا كان مقلـداً لأحد المـذاهب الأربعة، قـال الخفاجي في ________________

۱ . الطوسي: تلخيص الشافي:۲/۵۹. (۳۷)

كتـابـه «الأـزهـر في ألف عام» (۱) مـا نصه: فقـد غـالى الأـيوبيون في القضاء على كلّ أثر للشـيعة. وأمّا في العصـر العثماني فقـد تولى السـلطان سـليم زعامة السـنة واسـتحصل على فتوى من شيوخ السوء بأنّ الشيعة خارجون على الدين يجب قتلهم ولذلك أمر بقتل كلّ من كان معروفاً بالتشـيع داخل بلاده. وبهذا الأمر قُتل في الاناضول وحدها أربعون ألفاً وقيل سبعون، لا لشيء إلّا لأنّهم شيعة. وجاء في «الفصول المهمـة» للسـيد شـرف الـدين انّ الشـيخ نوح الحنفي أفتى بكفر الشـيعة ووجوب قتلهم، فقتل من جراء هـذه الفتوى عشـرات الألوف من شـيعة حلب حتّى لم يبق فيها شـيعي واحد وكان التشيّع فيها راسخاً و منتشراً منذ كانت حلب عاصمة الدولة الحمدانية، وقد نشـأ في حلب منـذ القـديم العديـد من كبار العلماء وأئمـة الفقه كبني زهرة وآل أبي جرادة وغيرهم ممن جاء ذكرهم في كتب السـير والتراجم خاصة كتاب «أمل ________________

۱ . الأزهر في ألف عام:۱/۵۸. (۳۸)

الآمل».(۱) وقتل العثمانيون الشـهيد الثاني المشهور بفضله وورعه وكتبه العلمية الجليلة التي يدرس بعضها حتّى اليوم في جامعة النجف وقم، وفعـل الجزار والي عكـا بجبـل عامـل ما فَعل الحجاج في العراق. وانتهب الجزار أموال العامليين ومكتباتهم، وكان في مكتبـة آل خاتون خمسة آلاف مجلد و بقيت أفران عكا توقد أسـبوعاً كاملاً من كتب العامليين، ولم يسـلم من ظلم الجزار إلّا من استطاع الفرار، وفي عهـده هاجر علماء جبل عامل مشـردين في الأقطار، ومن هؤلاء الشاعر الشـيعي إبراهيم يحيى الذي هرب إلى دمشق، و في نفسـه لوعة وحسـرة، وذكرى فظائع الجزار لا تفارقه بحال وقد صورها وهو شاهد عيان في قصائد تدمي الأفئدة والقلوب منها قصيدة طويلة ، يقول فيها: ________________

۱ . راجع الفصول المهمة:۲۰۶، الفصل التاسع ;غنية النزوع:۱۱، المقدمة. (۳۹) يعز علينا أن نروح ومصـرنا * لفرعون مغنى، يصطفيه ومغنم منازل أهل العدل منهم خليّة * وفيها لأهل الجور جيش عرمرم هذه لمحة خاطفة لمحنة الشـيعة في العصر العثماني، وعلى الرغم من شيوع الحرية في عصرنا الراهن فلم تزل الشيعة في أكثر نقاط العالم تمارس التقيه، وإلّا يضيق عليها الخناق. يقول العلاّمة السيّد هبة الـدين الشهرسـتاني: إنّ التقيـة شـعار كلّ ضـعيف مسـلوب الحرية. إنّ الشـيعة قد اشـتهرت بالتقية أكثر من غيرها لأنّها مُنيت باسـتمرار الضغط عليها أكثر من أية أُمّة أُخرى، فكانت مسلوبة الحرية في عهد الدولة الأموية كلّه، وفي عهد العباسيين على طوله، وفي أكثر أيام الدولة العثمانية، ولأجله استشعروا بشعار التقية أكثر من أيّ قوم، ولما كانت الشيعة، تختلف عن الطوائف المخالفة لها في قسم مهم من الاعتقادات في أُصول الدين وفي كثير من (۴۰)

الأحكام الفقهيّـة، والمخالفـة تسـتجلب بالطبع رقابـة وتصـدقه التجارب، لـذلك أضـحت شـيعة الأئمّـة من آل البيت مضـطرّة في أكثر الأحيـان إلى كتمـان مـا تختص به من عـادة أو عقيـدة أو فتوى أو كتـاب أو غير ذلـك، تبتغي بهـذا الكتمان، صـيانةَ النفس والنفيس، والمحافظـة على الوداد والاـخوة مع سـائر اخوانهم المسـلمين، لئلاـّ تنشق عصـا الطاعـة، ولكي لاـ يحسّ الكفّـار بوجود اختلاف ما في المجتمع الإسـلامي فيوسع الخلاـف بين الأُمّـة المحمديـة. لهـذه الغايات النزيهـة كانت الشـيعة تسـتعمل التقيـة وتحافظ على وفاقها في الظواهر مع الطوائف الا ُخرى، متبعة في ذلك سيرة الأئمّة من آل محمد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: «التقية ديني

ودين آبائی»، إذ أنّ دين اللّه يمشی علی سنّة التقيهٔ لمسلوبی الحريهٔ، دلّت علی ذلک آيات من القرآن العظيم. (۱) روی عن صادق آل البيتعليهم السَّلام فی الأثر الصحيح: «التقيهٔ دينی ودين آبائی» . ـــــــــــــــ

۱ . غافر:۲۸ ؛النحل:۱۰۶. (۴۱) لقد كانت التقيهٔ شعاراً لآل البيتعليهم السَّلام دفعاً للضرر عنهم، وعنأتباعهم، وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّاًلشعثهم، وما زالت سمهٔ تُعرف بها الإماميهٔ دون غيرها من الطوائف والأُمم.وكل إنسان إذا أحسّ بالخطر علی نفسه، أو ماله بسبب نشر معتقده، أوالتظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقی مواضع الخطر. وهذا أمر تقتضيه فطرهٔ العقول. من المعلوم أنّ الإماميهٔ وأئمّتهم لاقوا من ضروب المحن، وصنوف الضيق علی حرياتهم فی جميع العهود ما لم تلاقه أيهٔ طائفهٔ، أو أُمّهٔ أُخری، فاضطروا فی أكثر عهودهم إلی استعمال التقيهٔ فی تعاملهم مع المخالفين لهم، وترک مظاهرتهم، وستر عقائدهم، وأعمالهم المختصهٔ بهم عنهم، لما كان يعقب ذلک من الضرر فی الدنيا. ولهذا السبب امتازوا بالتقيهٔ وعرفوا بها دون سواهم.(۱)

---

۱ . مجلهٔ المرشد: ۳/۲۵۲، ۲۵۳ولاحظ تعاليق اوائل المقالات ص ۹۶. (۴۲) حصيلهٔ البحث فحصيلهٔ البحث انّ أوساط الشيعهٔ شهدت مجازر بشعه علی يد السلطات الغاشمهٔ، فقتل الآلاف منهم، وأمّا من بقی منهم علی قيد الحياهٔ فقد تعرض إلی شتی صنوف التنكيل والارهاب والتخويف، والحقّ يقال: انّ من الأُمور العجيبهٔ أن يبقی لهذه الطائفهٔ باقيهٔ رغم كلّ ذلک الظلم الكبير والقتل الذريع بل العجب العجاب أن تجد هذه الطائفهٔ قد ازدادت قوهٔ وعدهٔ وأقامت دولاً وشيّدت حضارات وبرز منها الكثير من العلماء والمفكرين. فلو كان الأخ السنی يری التقيهٔ أمراً محرماً فليعمل علی رفع الضغط عن أخيه الشيعی وأن لا يضيق عليه فی الحريهٔ التی سمح بها الإسلام لأبنائه، وليعذره فی عقيدته وعمله كما عذَرَ أُناساً كثيرين خالفوا الكتاب والسنّهٔ وأراقوا الدماء ونهبوا الديار فكيف بطائفهٔ تدين بدينه وتتفق معه فی كثير من معتقداته، وإذا كان معاويهٔ وأبناء بيته والعباسيون كلّهم عنده مجتهدين فی بطشهم وإراقهٔ دماء مخالفيهم فماذا يمنعه (۴۳)

عن إعذار الشيعهٔ باعتبارهم مجتهدين. وإذا كانوا يقولون ـ و ذاک هو العجيب ـ انّ الخروج علی الإمام علی ـ عليه السَّلام ـ غير مضرّ بعدالهٔ الخارجين والثائرين عليه، وفی مقدمتهم طلحهٔ والزبير وأُمّ المؤمنين عائشهٔ، وإنّ إثارهٔ الفتن فی صفّين ـ التی انتهت إلی قتل كثير من الصحابهٔ والتابعين وإراقهٔ دماء الآلاف من العراقيين والشاميين ـ لا تنقص شيئاً من ورع المحاربين!! وهم بعد ذلک مجتهدون معذورون لهم ثواب من اجتهد وأخطأ، فَلِمَ لا يتعامل مع الشيعهٔ ضمن هذا الفهم ولايذهب إلی أنّهم معذورون ومثابون!! (۴۴)

الغايهٔ من تشريع التقيهٔ

الغايهٔ من تشريع التقيهٔ الغايهٔ من التقيهٔ: هی صيانهٔ النفس والعرض والمال، وذلک فی ظروف قاهرهٔ لا يستطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحق صريحاً خوفاً من أن تترتّب علی ذلک مضار وتهلكهٔ من قوی ظالمهٔ غاشمهٔ تمارس الارهابَ، والتشريد والنفی، والقتل والتنكيل، ومصادرهٔ الأموال، وسلب الحقوق الحقهٔ، وعندئذ لا يجد صاحبُ العقيدهٔ ـ الذی يری نفسه محقاً ـ محيصاً عن إبطانها، والتظاهر بما يوافق هوی الحاكم وتوجّهاته حتی يسلم من الاضطهاد والتنكيل والقتل، إلی أن يُحدِث اللّه أمراً. إنّ التقيهٔ سلاح الضعيف فی مقابل القوی الغاشم، سلاح من يُبتلی بمن لا يحترم دمه وعرضه وماله، لا لشیء إلاّ (۴۵)

لأنّه لاـ يتفق معه فی بعض المبادئ والأفكار. إنّما يمارس التقيهٔ من يعيش فی بيئهٔ صودرت فيها الحريهٔ فی القول والعمل، والرأی والعقيدهٔ فلاـ ينجو المخالف إلاّـ بالصمت والسكوت مُرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوی السلطهٔ وأفكارها، أو قد يلجأ إليها البعض كوسيلهٔ لابد منها من أجل اغاثهٔ الملهوف المضطهد والمستضعف الذی لاـ حول له ولا قوهٔ، فيتظاهر بالعمل إلی جانب الحكومهٔ الظالمهٔ وصولاًـ إلی ذلک كما كان عليه مؤمن آل فرعون الذی حكاه سبحانه فی الذكر الحكيم. إنّ أكثر من يَعيبُ التقيهٔ علی مستعملها، يتصوّر أو يصوِّر أنّ الغايهٔ منها هو تشكيل جماعات سريهٔ هدفها الهدم والتخريب، كما هو المعروف من الباطنيين والأحزاب

الإلحادية السرية، وهو تصوّر خاطئ ذهب إليه أولئك جهلًا أو عمداً دون أن يرتكزوا فی رأيهم هذا على دليل ما أو حجة مقنعة، فأين ما ذكرناه من هذا الذی يُذكر، ولو لم تستبد الظروف القاهرة والأحكام المتعسفة بهذه الجموع المستضعفة (۴۶)

من المؤمنين لما كانوا عمدوا إلى التقية، ولما تحمّلوا عبء إخفاء معتقداتهم ولَدَعوا الناس إليها علناً ودون تردّد. أين العمل الدفاعی بصورة بدائية من الأعمال التی يرتكبها أصحاب الجماعات السرية للإطاحة بالسلطة وامتطاء منصّة الحكم؟ وهی أعمال كلها تخطيطات مدبّرة لغايات ساقطة. وهؤلاء هم الذين يحملون شعار «الغايات تبرّر الوسائل» فكل قبيح عقلی أو ممنوع شرعی يستباح عندهم لغاية الوصول إلى المقاصد المشؤومة. إنّ القول بالتشابه بين هؤلاء وبين من يتخذ التقية غطاءً، وسلاحاً دفاعياً ليسلم من شر الغير، حتى لا ـ يُقْتَل ولا ـ يُستأصل، ولا ـ تُنهب داره وماله، إلى أن يُحدث اللّه أمراً، من قبيل عطف المبائن على مثله. إنّ المسلمين القاطنين فی الاتحاد السوفيتی السابق قد لاقوا من المصائب والمحن ما لا يمكن للعقول أن تحتملها (۴۷)

ولا أن تتصورها، فإنّ الشيوعيّين طيلة تسلّطهم على المناطق الإسلامية قلبوا لهم ظهر المِجَنّ، فصادروا أموالهم وأراضيهم، ومساكنهم، ومساجدهم، ومدارسهم، وأحرقوا مكتباتهم، وقتلوا كثيراً منهم قتلاً ـ ذريعاً ووحشياً، فلم ينج منهم إلاّ من اتقاهم بشیء من التظاهر بالمرونة، وإخفاء المراسيم الدينية، والعمل على إقامة الصلاة فی البيوت إلى أن نجّاهم اللّه سبحانه بانحلال تلك القوة الكافرة، فبرز المسلمون إلى الساحة من جديد، فملكوا أرضهم وديارهم، وأخذوا يستعيدون مجدهم وكرامتهم شيئاً فشيئاً، وما هذا إلاّ ثمرة من ثمار التقية المشروعة التی أباحها اللّه تعالى لعباده بفضله وكرمه سبحانه على المستضعفين. فإذا كان هذا معنى التقية ومفهومها، وكانت هذه غايتَها وهدفَها، فهی أمر فطریّ، يسوق الإنسان إليها قبل كل شیء عقلُه ولبُّه، وتدعوه إليها فطرته، ولأجل ذلك يلوذ بها كل من ابتُلی بالملوك والساسة الذين لا يحترمون شيئاً سوى رأيهم وفكرتهم ومطامعهم وسلطتهم ولا يترددون عن التنكيل بكل (۴۸)

من يعارضهم فی ذلك، من غير فرق بين المسلم ـ شيعياً كان أم سنّياً ـ وغيره، ومن هنا تظهر جدوى التقية وعمق فائدتها. ولأجل دعم هذا الأصل الحيویّ، ندرس دليله من القرآن والسنّة.

التقية فی الكتاب العزيز

التقية فی الكتاب العزيز شرّعت التقية بنص القرآن الكريم، حيث وردت فيها جملة من الآيات الكريمة(۱) سنحاول استعراضها فی الصفحات التالية: الآية الأُولى: قال سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ وَلَكِن مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرَاً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).(۲) ________________

۱ . غافر : الآية ۲۸ و ۴۵، والقصص: الآية ۲۰، وستوافيك نصوص الآيات فی ثنايا البحث.

۲ . النحل:۱۰۶. (۵۰) ترى أنّه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم، بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، وصرّح بذلك لفيف من المفسرين القدامى والجُدد، سنحاول أن نستعرض كلمات البعض منهم تجنّباً عن الإطالة والاسهاب، ولمن يبتغی المزيد فعليه مراجعة كتب التفسير المختلفة: ۱. قال الطبرسی: قد نزلت الآية فی جماعة أُكرهوا على الكفر، وهم عمّار وأبوه ياسر وأُمّه سمية، وقُتلَ الأبوان لأنّهما لم يظهرا الكفر ولم ينالا من النبیّ، وأعطاهم عمّار ما أرادوا منه، فأطلقوه، ثمّ أخبر عمّار بذلك رسول اللّه، وانتشر خبره بين المسلمين، فقال قوم: كفر عمّار، فقال الرسول: «كلاّ ـ إنّ عمّاراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه». وفی ذلك نزلت الآية السابقة، وكان عمّار يبكی، فجعل رسول اللّه يمسح عينيه ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت».(۱) ________________

۱ . مجمع البيان: ۳/۳۸۸. (۵۱) ۲. وقال الزمخشری: روی أنّ أُناساً من أهل مكّة فُتِنُوا فارتدّوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أُكره وأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمّار بن ياسر وأبواه: ياسر وسمية، وصهيب وبلال وخبّاب. أمّا عمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً .... (۱) ۳. وقال الحافظ ابن ماجة: والايتاء: معناه الاعطاء أن وافقوا المشركين على ما أرادوا

منهم تقيـة، والتقيـة فى مثـل هـذه الحـال جائزة، لقوله تعالى: (إلاّ مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَـانِ). (۲) ۴. وقـال القرطبى: قال الحسن: التقيـة جـائزة للإنسان إلى يوم القيامـة ـ ثمّ قال: ـ أجمع أهل العلم على أنّ من أُكره على الكفر حتّى خشـى على نفسه القتل إنّه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا تَبين منه زوجته ولا يُحكم عليه ________

۱ . الكشاف عن حقائق التنزيل: ۲/۴۳۰.

۲ . ابن ماجة: السنن: ۱/۵۳، شرح حديث رقم ۱۵۰. (۵۲)

بالكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعى. (۱) ۵. قال الخازن: التقية لا تكون إلاّ مع خوف القتل مع سلامة النيّة، قال اللّه تعالى: (إلاّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ثمّ هـذه التقيـة رخصة.(۲) ۶. قـال الخطيب الشـربينى: (إلاّـ من أُكره) أى على التلفّظ به (وقلبه مطمئن بالإيمان) فلا شيء عليه لأنّ محل الإيمان هو القلب.(۳) ۷. وقال إسماعيل حقّى: (إلاّ من أُكره) أُجبر على ذلك اللفظ بأمر يخاف على نفسه أو عضو من أعضـائه ... لأنّ الكفر اعتقاد، والإكراه على القول دون الاعتقاد، والمعنى: «ولكن المكره على الكفر باللسان»، (وقلبه مطمئن بالإيمان) لا تتغير عقيدته، وفيه دليل على أنّ الإيمان المنجى المعتبر عند اللّه، هو التصديق بالقلب. (۴) ________

۱ . الجامع لأحكام القرآن : ۴/۵۷.

۲ . تفسير الخازن: ۱/۲۷۷.

۳ . السراج المنير. فى تفسير الآية.

۴ . تفسير روح البيان: ۵/۸۴. (۵۳) الآيـة الثانيـة: قال سبحانه: (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَل ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِـى شَـىْء إلاَّ أن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإلى اللّهِ الْمصيرُ). (۱) وكلمات المفسّرين حول الآية تغنينا عن أى توضيح: ۱. قال الطبرى: (إلاّ أن تتقوا منهم تقاة) : قال أبو العالية: التقية باللسان، وليس بالعمل، حُدّثت عن الحسين قال: سـمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبيـد قال: سـمعت الضـحّاك يقول فى قوله تعالى: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة) قال: التقيّة باللسان من حُمِلَ على أمر يتكلّم به وهو للّه معصيـة فتكلم مخافة نفسه (وقلبه مطمئن بالإيمان) فلا إثم عليه، إنّما التقية باللسان. (۲) ۲. وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة): رخّص لهم فى موالاتهم إذا خافوهم، والمراد ________

۱ . آل عمران: ۲۸.

۲ . جامع البيان : ۳/۱۵۳. (۵۴)

بتلك الموالاة: مخالفة ومعاشـرة ظاهرة، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع.(۱) ۳. قال الرازى فى تفسير قوله تعالى: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة): المسألة الرابعة: اعلم: أنّ للتقية أحكاماً كثيرة، ونحن نذكر بعضـها: ألف: إنّ التقيّة إنّما تكون إذا كان الرجل فى قوم كفّار، ويخاف منهم على نفسه، وماله، فيـداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العـداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبـة والموالـة، ولكن بشـرط أن يضـمر خلافه وأن يعرض فى كـل مـا يقول، فـإنّ للتقيّـة تأثيرهـا فى الظاهر لا فى أحوال القلوب. ب: التقيّة جـائزة لصون النفس، وهـل هى جـائزة: لصون المـال؟ يحتمـل أن يحكم فيها بالجواز، لقوله – صلَّى الله عليه وآله وسـلَّم ـ : «حرمـة مـال المسـلم كحرمـة دمـه»، ولقـوله – صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم ـ : «مـن قتـل دون مـاله فهـو شـهيد».(۲)

---

۱ . الكشاف: ۱/۴۲۲.

۲ . مفاتيح الغيب: ۸/۱۳. (۵۵) ۴. وقال النسفى: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة) إلاّ أن تخافوا جهتهم أمراً يجب اتّقاؤه، أى ألاّ يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وإبطان المعاداة.(۱) ۵. وقال الآلوسى: وفى الآية دليل على مشـروعية التقيـة وعرَّفوهـا بمحافظـة النفس أو العرض أو المال من شـر الأعـداء. والعـدو قسـمان: الأوّل: من كانت عـداوته مبنيـة على اختلاف الـدين، كالكافر والمسلم. الثانى: من كانت عـداوته مبنية على أغراض دنيوية، كالمال والمتاع والملك والامارة. (۲) ۶. وقال

جمال الـدين القاسـمى: ومن هـذه الآيـة: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة) اسـتنبط الأئمّة مشـروعية التقية عند الخوف، وقد نقل الإجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى ـــــــــــــــــــ

۱ . تفسير النسفى بهامش تفسير الخازن: ۱/۲۷۷.

۲ . روح المعانى: ۳/۱۲۱. (۵۶)

اليمـانى فى كتـابه (إيثـار الحق على الخلق).(۱) ۷. وفسّـر المراغى قـوله تعـالى: (إلاّـ أن تتّقـوا منهم تقـاة) بقوله: أى انّ ترك موالاـة المؤمنين للكـافرين حتم لاـزم فى كـل حـال إلاّـ فى حال الخوف من شـىء تتّقونه منهم، فلكم حينئـذ أن تتّقوهم بقـدر ما يتقى ذلك الشـىء، إذ القاعـدة الشـرعية: «إنّ درء المفاسـد مقدّم على جلب المصالح». وإذا جازت موالاتهم لاتّقاء الضـرر فأولى أن تجوز لمنفعة المسلمين، إذاً فلا مانع من أن تحالف دولة إسلامية دولة غير مسلمة، لفائدة تعود إلى الأُولى، إمّا بدفع ضرر أو جلب منفعة، وليس لها أن تواليها فى شـىء يضـر المسـلمين، ولا تختص هذه الموالاة بحال الضـعف، بل هى جائزة فى كل وقت. وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقية بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحق، لأجل التوقّى من ضـرر يعود من الأعداء إلى النفس، أو العرض، أو المال.

ـــــــــــــــــــ

۱ . محـاسن التأويل: ۴/۸۲. (۵۷) فمن نطق بكلمـة الكفر مكرهـاً وقايـة لنفسه من الهلاـك، وقلبه مطمئن بالإيمان، لا يكون كافراً بل يُعذر كما فعل عمّـار بن ياسـر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً وقلبه مطمئن بالإيمان، وفيه نزلت الآية: (مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان).(۱) هذه الجمل الوافية والعبارات المستفيضة لا تدع لقائل مقالاً إلاّ أن يحكم بشـرعية التقيّة بالمعنى الذى عرفته، بل قد لا يجد أحد مفسّـراً أو فقيهاً وقف على مفهومها وغايتها، وهو يتردد فى الحكم بجوازها، كما أنّك ـ أخى القارئ ـ لا تجـد إنساناً واعياً لا يسـتعملها فى ظروف عصـيبة، ما لم تترتّب عليها مفسدة عظيمة، كما سـيوافيك بيانها عند البحث عن حدودها. وإنّما المعارض لجوازها أو المغالط فى مشروعيتها، فإنّما ـــــــــــــــــــ

۱ . تفسير المراغى: ۳/۱۳۶. (۵۸)

يفسّـرها بالتقية الرائجة بين أصـحاب التنظيمات السـرية والمذاهب الهدّامة كالباطنية وأمثالهم، إلاّ أنّ المسلمين جميعاً بريئون من هذه التقيـة الهدّامة لكل فضـيلة رابية. الآية الثالثة: قوله سـبحانه: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ ءَال فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أنْ يَقُولَ رَبِّـىَ اللّهُ وَقَـدْ جَآءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللّهَ لَا يهـدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ).(۱) وكـانت عاقبـة أمره أن:(فَوَقَاهُ اللّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) .(۲) ومـا كان ذلك إلاّ لأنّه بتقيّته استطاع أن ينجى نبىّ اللّه ـــــــــــــــــــ

۱ . غافر: ۲۸.

۲ . غافر: ۴۵. (۵۹)

من الموت: (قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الملأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ).(۱) وهـذه الآيات تـدل على جواز التقية لإنقاذ المؤمن من شرّ عدوّه الكافر. ـــــــــــــــــــ

۱ . القصص:۲۰. (۶۰)

التقيّة فى السنّة النبويّة

التقيّة فى السنّة النبويّة دلّت الروايات على أنّ الوجوب والحرمة ترتفع عند طروء الاضطرار، الذى تعدّ التقية من مصاديقه وأوضح دليل على ذلك هو حـديث الرفع الذى رواه الفريقان. ۱. روى الصدوق بسـند صـحيح فى خصاله عن أبى عبد اللّه ـ عليه السَّلام ـ قال: قال رسول اللّه – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «رفع عن أُمّتى تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يطيقون، وما لا يعلمون، وما

اضطروا إلیه، والحسد، والطیرة، والتفکّر فی الوسوسة فی الخلق ما لم ینطق بشفة».(۱) إنّ للحدیث دوراً فی مبحث البراءة والاشتغال فی علم الأُصول، وقد فصلنا الکلام حوله فی بحوثنا الأُصولیة .(۲) ________________

۱ . الخصال:۴۱۷.

۲ . لاـ حظ إرشاد العقول:۱/۳۴۷ـ ۳۶۴. (۶۱) وعلی کلّ تقدیر فالحدیث صریح فی أنّ الاضطرار یبیح المحظور. ۲. روی الکلینی بسند صحیح عن زرارة، عن أبی جعفر ـ علیه السَّلام ـ ، قال: «التقیة فی کلّ ضرورة، وصاحبها أعلم بها حین تنزل به».(۱) ۳. روی الکلینی عن محمد بن مسلم و زرارة قالوا: سمعنا أبا جعفر ـ علیه السَّلام ـ یقول: «التقیة فی کلّ شیء یضطر إلیه ابن آدم فقد أحلّه اللّه له».(۲) ۴. وعن الإمام الصادق ـ علیه السَّلام ـ انّه قال:«وکلّ شیء یعمل المؤمن بینهم لمکان التقیة ممّا لا یؤدی إلی الفساد فی الدین فانّه جائز».(۳) ۵. وعنه ـ علیه السَّلام ـ انّه قال: «ولاـ حنث ولاـ کفّارة علی من حلف تقیة یدفع بذلک ظلماً عن نفسه».(۴)

____

۱ . الوسائل:۱۱، الباب۲۵ من أبواب الأمر والنهی، الحدیث۱.

۲ . الوسائل:۱۱، الباب۲۵ من أبواب الأمر والنهی، الحدیث۲.

۳ . الکافی:۲/۱۶۸.

۴ . الخصال:۶۰۷. (۶۲) ۶. وعنه ـ علیه السَّلام ـ قال: «وانّ التقیة لأوسع ممّا بین السماء والأرض».(۱) إلی غیر ذلک من الروایات الواردة فی هذا الموضوع. ولک أن تضیف إلی ذلک الاستدلال بالآیات التی رخصت عند الاضطرار، قال تعالی: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ باغَ ولاَـ عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَیْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ)(۲) ومورد الآیة وإن کان الاضطرار لأجل الجوع، ولکن الموضوع هو الاضطرار، سواء أکان العامل داخلیاً کاضطراره إلی أکل المیتة، أو خارجیاً قاهراً مُلْزِماً علی العمل بالخلاف علی نحو لو لم یفعله لأدّی إلی إلحاق الضرر بنفسه ونفیسه. التقیة فی کلمات العلماء ۱. قال ابن عباس: التقیّة باللسان والقلب مطمئن بالإیمان ولاـ یبسط یده للقتل.(۳)

____

۱ . بحارالأنوار:۷۵/۴۱۲.

۲ . البقرة:۱۷۳.

۳ . فتح الباری:۱۲/۲۷۹. (۶۳) ۲. قال الحسن البصری: التقیة جائزة للمؤمن إلی یوم القیامة إلاّ فی قتل النفس.(۱) ۳. وقال الرازی: تجوز التقیة لصون المال علی الأصح کما یجوز صون النفس.(۲) ۴. وقال السیوطی: یجوز أکل المیتة فی المخمصة وإساغة اللقمة فی الخمر، والتلفظ بکلمة الکفر، ولو عمّ الحرام قطراً بحیث لا یوجد فیه حلال إلاّ نادراً فانّه یجوز استعمال ما یحتاج إلیه.(۳) وقد أنکر الشاطبی علی الخوارج إنکارهم التقیة فی القول والفعل، وعدّها من جملة مخالفاتهم للکلیات الشرعیة أصلیة أو عملیة.(۴) ۵. وقال الطوسی: والتقیة عندنا واجبة عند الخوف علی النفس، وقد روی رخصة فی جواز الإفصاح بالحق ________________

۱ . تفسیر النیسابوری فی هامش الطبری:۳/۱۷۸.

۲ . التفسیر الکبیر:۸/۱۳.

۳ . الأشباه والنظائر:۷۶.

۴ . الموافقات:۴/۱۸۰. (۶۴)

عنده.(۱) ۶. وقال العلاّمة الطباطبائی: الکتاب والسنّة متطابقان فی جوازها فی الجملة، والاعتبار العقلی یؤیده، إذ لا بغیة للدین ولا همَّ لشارعه إلاّ ظهور الحقّ وحیاته، وربما یترتّب علی التقیة و المجاراة مع أعداء الدین ومخالفی الحقّ حفظ مصلحة الدین وحیاة الحق ما لاـ یترتب علی ترکها وإنکار ذلک مکابرة وتعسف.(۲) مجال التقیة هو الأُمور الشخصیة عُرِفَتِ الشیعة بالتقیة وأنّهم یتّقون فی أقوالهم وأفعالهم، فصار ذلک مبدأ لوهم عَلِقَ بأذهان بعض السطحیین والمغالطین، فقالوا: بما أنّ التقیة من مبادئ التشیّع فلا یصح الاعتماد

على كلّ ما يقولون ويكتبون وينشـرون، إذ من المحتمل جداً أن تكون هذه الكتب دعايات والواقع عندهم غيرها. هذا ما نسـمعه منهم مرّة بعد مرّة، ويكرّره الكاتب الباكستانى ـــــــــــــــــ

۱ . التبيان:۲/۴۳۵.

۲ . الميزان:۳/۱۵۳. (۶۵)

«إحسـان إلهى ظهير» فى كتبه السـقيمة التى يتحامـل بهـا على الشـيعة. ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ مجال التقيـة إنّما هو فى حدود القضايا الشخصـية الجزئية عند وجود الخوف على النفس والنفيس، فإذا دلّت القرائن على أنّ فى إظهار العقيدة أو تطبيق العمل على مـذهب أهـل البيت مـا يُلحق بـالمؤمن الضـرر، يُصـبح هـذا المورد من مواردها، ويحكم العقل والشـرع بلزوم الاتقاء حتى يصون بذلك نفسه ونفيسه عن الخطر. وأمّا الأُمور الكلّية الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصوّر فيها التقية، والكتب المنتشـرة من جانب الشيعة داخلة فى هذا النوع الأخير، إذ لا خوف هناك حتى يكتب خلاف ما يعتقد، حيث ليس هناك أىُّ مُلْزم للكتابة أصلًا فى هذه الأحوال فله أن يسـكت ولا يكتب شـيئاً. فما يـدعيه هؤلاء أنّ هذه الكتب دعايات لا واقعيات ناشـئ عن قلّة معرفتهم بحقيقة التقية عند الشـيعة. والحاصل: أنّ الشيعة إنّما كانت تتّقى فى عصر لم تكن (۶۶)

لهم دولـة تحميهم، ولا قـدرة ولا منعـة تدفع عنهم الأخطار. وأمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ ولا مبرّر للتقية إلّا فى موارد جزئيّة خاصة. إنّ الشـيعة كمـا ذكرنـا لم تلجأ إلى التقيـة إلاّـ بعـد أن اضـطرّت إلى ذلك، وهو حق لا أعتقـد أنّ أحـداً ينظر إلى الا ُمور بلبّه لا بعواطفه يخالفها فيه، إلّا أنّ من الأُمور المسـلّمة فى تاريخ التشـيّع، كثرة التقية على مستوى الفتاوى، وأمّا على المستوى العملىّ فالشيعة من أكثر الناس تضـحية، وبوسع كل باحث أن يرجع إلى مواقف رجال الشـيعة مع معاوية وغيره من الحكّام الأمويين، والحكام العباسيين، أمثال حجر بن عـدى، وميثم التمار، ورشـيد الهجرى، وكميل بن زياد، ومئات من غيرهـم، وكمواقف العلويين على امتـداد التاريـخ وثوراتهم المتتالية و قد مرّ تفصيله فى بعض الفصول. (۶۷)

أقسام التقية

أقسام التقيـة تنقسم التقيـة حسب انقسام الأحكام إلى خمسـة، والمهم هو الإشارة إلى الأقسام الثلاثـة: ۱. التقيـة الواجبة: وهى ما كانت لدفع الخوف على نفس أو عرض محترمين، أو ضـرر لا يتحمل عن نفسه أو غيره من المؤمنين. ۲. التقية المندوبة: وهى ما كانت لدفع مـا يرجـح دفعه من ضـرر يسير يتحمّل عادة، سواء تعلق بنفسه أو بغيره. ۳. التقيـة المحرمـة وهى ما يترتّب عليها مفسـدة أعظم، كهدم الدين وخفاء الحقيقة على الأجيال الآتية، وتسـلّط الأعداء على شؤون المسـلمين وحرماتهم ومعابدهم، ولأجل ذلك ترى أنّ كثيراً من أكابر الشيعة رفضوا التقية فى بعض (۶۸)

الأحيان وقـدّموا أنفسـهم وأرواحهم أضاحى من أجل الـدين، فللتقية مواضع معينة، كما أنّ للقسم المحرم منها مواضع خاصة أيضاً. إنّ التقية فى جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتى يزول الخطر، فهى أفضل السبل للخلاص من البطش، ولكن ذلك لا يعنى أنّ الشيعى جبان خائر العزيمـة، خائف متردّد الخطوات يملأ حناياه الذل، كلّا إنّ للتقية حدوداً لا تتعداها، فكما هى واجبة فى حين، هى حرام فى حين آخر، فالتقيـة أمام الحاكم الجائر كيزيـد بن معاويـة مثلًا محرّمة، إذ فيها الذل والهوان ونسـيان المُثُل والرجوع إلى الوراء، فليسـت التقيـة فى جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضـعف، وإنّما تحددها جوازاً ومنعاً مصالح الإسـلام والمسـلمين. إنّ للإمام الخمينى ـ قدّس اللّه سرّه ـ كلاماً فى المقام ننقله بنصّه حتى يقف القارئ على أنّ للتقيـة أحكاماً خاصـة وربّما تحرم لمصالـح عالية. قال ـ قدّس اللّه سـرّه ـ: تحرم التقية فى بعض المحرّمات والواجبات التى تمثّل (۶۹)

فى نظر الشارع والمتشـرّعة مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة، والمشاهد المشـرّفة، والرد على الإسـلام والقرآن والتفسـير بما يفسد المذهب ويطابق الإلحاد وغيرها من عظائم المحرّمات، ولا تعمّها أدلة التقية ولا الاضطرار ولا الإكراه. وتدلّ على ذلك معتبرة مسعدة بن صدقة

وفيها: «فكلّ شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقيـة ممّا لا يؤدى إلى الفساد فى الـدين فإنّه جائز». (١) ومن هـذا البـاب ما إذا كان المتقى ممن له شأن وأهميـة فى نظر الخلق، بحيث يكون ارتكـابه لبعض المحرّمـات تقيـة أو تركه لبعض الواجبـات كـذلك مما يعد موهناً للمـذهب وهاتكاً لحرمه، كما لو أُكره على شـرب المسـكر والزنا مثلاً، فإنّ جواز التقيـة فى مثله متمسّـكاً بحكومة دليل الرفع(٢) وأدلّة التقية مشـكل بل ممنوع، وأولى من ذلك كلّه فى عدم جواز التقية، ما لو كان أصل من أُصول الإسـلام أو المذهب أو ضرورى من ـــــــــــــــ

١ . الوسائل:١٠، الباب٢٥ من أبواب الأمر والنهى، الحديث٨.

٢ . الوسائل:١٠، الباب٥۶ من أبواب جهاد النفس، الحديث١. (٧٠)

ضروريات الدين فى معرض الزوال والهدم والتغيير، كما لو أراد المنحرفون الطغاة تغيير أحكام الإرث والطلاق والصلاة والحج وغيرها من أُصول الأحكام فضـلًا عن أُصول الـدين أو المذهب، فإنّ التقية فى مثلها غير جائزة، ضـرورة أنّ تشـريعها لبقاء المذهب وحفظ الا ُصول وجمع شـتات المسـلمين لإقامـة الـدين وأُصوله، فـإذا بلغ الأـمر إلى هـدمها فلاـ تجوز التقيـة، وهو مع وضوحه يظهر من الموثقة المتقدمة.(١) وعلى ضوء ما تقـدّم، نخرج بالنتائج التالية: ١. إنّ التقية أصل قرآنى مدعم بالسـنّة النبوية، وقد عمل بها فى عصـر الرسالة من ابتلى من الصحابة، لصيانة نفسه، فلم يعارضه الرسول، بل أيّده بالنص القرآنى كما فى قضية عمّـار بن ياسر، حيث أمره – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بالعودة إذا عادوا. ٢. انّ التقيّة ليست بمعنى تشـكيل جماعات سـرية لغاية التخريب و الهدم، وهذا لا يمتّ إلى التقية بصلة. ـــــــــــــــ

١ . رسالـة فى التقية مطبوعة ضـمن الرسائل العشـر:١۴، بـاب حول موارد اسـتثنيت من الأدلّـة. (٧١) ٣. اتّفق المفسّـرون عند التعرّض لتفسـير الآيات الواردة فى التقية على ما ذهبت إليه الشـيعة من إباحتها للتقية. ۴. تنقسم التقيـة حسب انقسام الأحكام إلى أقسام خمسة، فبينما هى واجبـة فى موضع، تجدْها محرّمة فى موضع آخر. ۵. إنّ مجال التقية لا يتجاوز القضايا الشخصـية، وهى فيما إذا كان الخوف قائماً، وأمّا إذا ارتفع الخوف والضـغط، فلا مجال للتقيـة. وفى ختام هـذا البحث نقول: نفترض أنّ التقية جريمة يرتكبها المتقى لصـيانة دمه وعرضه وماله، ولكنّها فى الحقيقـة ترجع إلى السـبب الـذى يفرض التقيّـة على الشـيعى المسـلم ويـدفعه إلى أن يتظاهر بشـىء من القول والفعل الذى لا يعتقد به، فعلى من يعيب التقية للمسـلم المضـطهد، أن يسـمح له بالحرية فى مجال الحياة ويتركه بحاله، وأقصى ما يصح فى منطق العقل، أن يسأله عن دليل عقيدته ومصدر عمله، فإن كان على حجّة بيّنة (٧٢)

يتبعه، وإن كان على خلافها يعذره فى اجتهاده وجهاده العلمى والفكرى. نحن ندعو المسـلمين للتأمّل فى الدواعى التى دفعت بالشـيعة إلى التقية، وأن يعملوا قدر الإمكان على فسح المجال لإخوانهم فى الدين فإنّ لكل فقيه مسـلم، رأيَه ونظرَه، وجهدَه وطاقتَه. إنّ الشيعة يقتفـون أثر أئمّـة أهـل الـبيت فى العقيـدة والشـريعة، ويرون رأيهم، لأـنّهم هم الـذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأحد الثقلين اللّذين أمر الرسول – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بالتمسّك بهما فى مجالى العقيـدة والشـريعة، وهـذه عقائـدهم لا تخفى على أحـد، وهى حجّـة على الجميع. نسـأل اللّه سـبحانه، أن يصون دماء المسـلمين وأعراضـهم عن تعرض أى متعرض، ويوحّـد صـفوفهم، ويؤلّف بين قلوبهم، ويجمع شملهم، ويجعلهم صفّاً واحداً فى وجه الأعداء، إنّه على ذلك قدير وبالإجابة جدير. (٧٣)

شبهات حول التقية

شبهات حول التقيـة لقـد تعرفت على حقيقة التقية: لغة واصـطلاحاً وتاريخاً، كما تعرفت على أدلّتها من الكتاب والسـنّة وظهر انّ سـيرة المسـلمين جرت على ممارسة التقية عند الشدة، وبقيت ثَمّة شـبهات تدور حول التقية، نطرحها على طاولة البحث. الشبهة الأُولى: التقية من شعب النفاق إذا كانت التقية إظهارَ ما يُضمر القلبُ خلافَه أو ارتكاب عمل يخالف العقيدة، فهى إذن شعبة من شعب النفاق، لأجل انّ النفاق عبارة عن التظاهر بشىء على خلاف العقيدة. والجواب عنها واضح: لأنّ مفهوم التقية فى الكتاب (٧۴)

والسنّة هو إظهار الكفر وإبطان الايمان، أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحق، وإذا كان هذا مفهومها، فهى تقابل النفاق، تقابلَ الإيمان والكفر، فانّ النفاق ضدها وخلافها، فهو عبارة عن إظهار الإيمان و إبطان الكفر، والتظاهر بالحق وإخفاء الباطل، و مع وجود هذا التباين بينهما فلا يصحّ عدّها من فروع النفاق. وبعبارة أُخرى: انّ النفاق فى الدين ستر الكفر بالقلب، وإظهار الإيمان باللسان، وأين هذا من التقيـة التى هى على العكس تماماً (إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) فهى إظهار الكفر وإخفاء الإيمان و ستره بالقلب، وأمّا تقيّة الشيعة فهى تَكْمُنُ فى إخفاء الاعتقاد بالإمامة والولاية لأهل البيتعليهم السَّلام يعنى ستر التشيع مع التظاهر بموافقة الآخرين فى عقيدتهم تجاه الإمامة وفى الوقت نفسه يشاركون المسلمين فى الشهادتين والإيمان بالقيامة، ويمارسون العبادات ويعملون بالفروع ويعتقدون ذلك بقلوبهم ويعيشون هذه العقيدة بوجدانهم وبأرواحهم . (۷۵) نعم من فسر النفاق بمطلق مخالفة الظاهر للباطن وبه صوّر التقية ـ الواردة فى الكتاب والسنّة ـ من فروعه، فقد فسره بمفهوم أوسع ممّا هو عليه فى القرآن، فانّه يعرف المنافقين بالمتظاهرين بالإيمان و المبطنين للكفر بقوله تعالى: (إذا جَاءَكَ الْمُنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ واللّهُ يَشْهَدُ إنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُون)(۱) فإذا كان هذا حدّ المنافق فكيف يعمّ من يستعمل التقية تجاه الكفار والعصاة فيُخفى إيمانه أو عقيدته فى ولاء أهل البيت و يظهر الموافقة لغاية صيانة النفس والنفيس والعرض والمال من التعرض؟! ويظهر صدق ذلك إذا وقفنا على ورودها فى التشريع الإسلامى، ولو كانت من قسم النفاق، لكان ذلك أمراً بالقبيح ويستحيل على الحكيم أن يأمر به (قُلْ إنّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون). (۲) ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . المنافقون:۱.

۲ . الأعراف:۲۸. (۷۶) الشبهة الثانية: لماذا عُدَّت التقية من أُصول الدين؟ قد نقل عن أئمّة أهل البيتعليهم السَّلام انّهم قالوا: التقية دينى و دين آبائى، ولا دين لمن لا تقية له.(۱) وظاهر هذه الروايات انّ الاعتقاد بالتقية وتطبيق العمل على ضوئها من أُصول الدين فمن لم يتق فقد خرج عن الدين وليس له من الإيمان نصيب. يلاحظ عليه: بأنّ التقية من الموضوعات الفقهية،تخضع كسائر الموضوعات للأحكام الخمسة، فتارة تجب وأُخرى تحرم، وثالثة...، ومعه كيف يمكن أن تكون من أُصول الدين، وقد ذكرها فقهاء الشيعة فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وأمّا الروايات التى عدتها من الدين فهى من باب الاستعارة وغايتها التأكيد على أهميتها وتطبيقها فى الحياة لصيانة النفس والنفيس، وبما انّ بعض الشيعة كانوا يجاهرون ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الوسائل:۱۰، الباب۲۴ من أبواب الأمر بالمعروف، الحديث۳، ۲۲. (۷۷)

بعقائدهم وشعائرهم، الأمر الذى يؤدّى إلى إلقاء القبض عليهم وتعذيبهم وإراقة دمائهم، فالإمام وللحيلولة دون وقوع ذلك يقول بأنّ (التقية دينى ودين آبائى) لحثّهم على الاقتداء بهم، وأمّا ما ورد فى الحديث «لا دين لمن لا تقيّة له» فالغاية التأكيد على الالتزام بالتقيّة، نظير قوله: لا صلاة لجار المسجد إلاّ فى المسجد. وبعبارة أُخرى: ليس المراد من الدين هو الأُصول العامة كالتوحيد والنبوة والمعاد التى بالاعتقاد بها يرد إلى حظيرة الإسلام وبإنكارها أو إنكار واحد منها أو إنكار ما يلازم إنكار أحد الأُصول الثلاثة يخرج عنها، وإنّما المراد به هو الشأن الذى يتعبد به الإمام ويعمل بدين اللّه، فقوله : «التقية دينى و دين آبائى» أى هو من شؤوننا أهل البيتعليهم السَّلام فاقتدوا بنا، وأمّا من يتصور انّ التقية تمس كرامته فهو إنسان جاهل خارج عن هذا الشأن الذى عليه تدين الأئمة به. الشبهة الثالثة: التقية تؤدى إلى محق الدين إذا مارست جماعةٌ التقية فترة طويلة فى أُصول الدين (۷۸)

وفروعه، ربما يتجلى للجيل المقبل بأنّ ما مارسه آباؤهم من صميم الدين وواقعه، فعند ذلك تنتهى التقية إلى محق الدين واندثاره. يلاحظ عليه: أنّ الظروف مختلفة وليست على منوال واحد، فربما يشتد الضغط فلا ـ يجد المحقّ مجالاً للإعراب عن رأيه وعقيدته وشريعته ، وقد تتبدّل الظروف إلى ظروف مناسبة تسمح بممارسة الشعائر بكلّ حرية، وقد عاشت الشيعة بين الحين والآخر فى هذه الظروف المختلفة، وبذلك صانت أُصولها وفروعها وثقافتها واللّه سبحانه هو المعين لحفظ الدين وشريعته. وبعبارة أُخرى: انّ للتقية سيطرة على الظاهر دون الباطن، فالأقلّية التى صودرت حرياتها يمارسونها فى الظاهر، و أمّا فى المجالس الخاصة فيقومون بواجبهم

على مـا هو عليه ويربّون أولادهم على وفق التعاليم التى ورثوها عن آبائهم عن أئمتهم. ولو افترضـنا انّ مراعاة التقيـة فترة طويلـة تنتهى إلى محق (۷۹)

الـدين فالتقيـة عندئـذ تكون محرمة يجب الاجتناب عنها. وقد مرّ انّ التقية لها أحكام خمسة، فالتقية المنتهية إلى محق الدين محظورة. الشبـهة الرابعة: التقية تؤدى إلى تعطيل الأمر بالمعروف إنّ التقية فكرة تحوّل المسـلم إلى إنسان يتعايش مع الأمر الواقع على ما فيه من ظلم وفسـاد وانحراف، فتعود إلى الرضـا بكـلّ مـا يحيط بها من الظلم والفساد والانحراف. يلاحظ عليه: أنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مشـروط بالتمكن منه، فمرتبـة منه وظيفـة الفرد و هو الأمر بالمعروف بكراهية القلب و اللسان، ومرتبة منه وظيفة المجتمع وعلى رأسه الدولـة صاحبـة القـدرة والمنعـة، فالممارس للتقيـة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حسب مقدرته ولولا القدرة فلا حكم عليه، لأنّ اللّه سبحانه لا يكلف نفساً إلّا وسعها. ومع ذلك فالممارس للتقية يتحيّن الفرص للانقضاض (۸۰)

على الواقع الفاسد وتغييره، فلو ساعدته الظروف على هذا التغيير فحينها يتخـلّى عن التقيـة ويجاهر بالحقّ قـولاً وعملاً. الشبـهة الخامسة: التقية من المسلم من البدع ربما يتصور انّ التقية من اختلاقات الشيعة وانّها لا دليل عليها من الكتاب والسنّة، وذلك لأنّ الآيات الواردة فى التقيـة ترجع إلى اتّقاء المسـلم من الكافر، وأمّا اتّقاء المسـلم من المسـلم فهذا ما لا دليل عليه من الكتاب والسـنة. الجواب إنّ مورد الآيـات وإن كان هو اتّقاء المسـلم من الكافر، ولكن المورد ليس بمخصّـِص لحكم الآيـة فقط، إذ ليس الغرض من تشـريع التقيـة عند الابتلاء بالكفار إلّا صـيانة النفس والنفيس من الشـر، فإذا ابتُلى المسلم بأخيه المسـلم الـذى يخالفه فى بعض الفروع ولا يتردد الطرف القوى عن إيذاء الطرف الآخر، كأن ينكل به أو ينهب أمواله أو يقتله، (۸۱)

ففى تلك الظروف الحرجة يحكم العقل السليم بصيانة النفس والنفيس عن طريق كتمان العقيدة واستعمال التقية، ولو كان هناك وزر فإنّما يحمله من يُتّقى منه لا المتّقى.ونحن نعتقـد أنّه إذا سادت الحريـة جميع الفرق الإسـلامية، وتحمّلت كل فرقـة آراء الفرقة الأُخرى لوقفت على أنّ الرأى الآخر هو نتيجـة اجتهادها، وعنـدها لا يضـطر أحـد من المسـلمين إلى اسـتخدام التقية، ولساد الوئام مكان النزاع. وقـد فهم ذلـك لفيف من العلمـاء وصـرّحوا به، وإليك نصوص بعضـهم: ۱. قـال الشـافعى: تجوز التقيـة بين المسـلمين كما تجوز بين الكافرين محاماة عن النفس.(۱) ۲. يقول الإمام الرازى فى تفسـير قوله سبحانه: (إلّا أن تتّقوا منهم تقاة): ظاهر الآية يدل على أنّ التقية إنّمـا تحـل مع الكفّـار الغـالبين، إلّا أنّ مـذهب الشافعى ـ رضـى اللّه عنه ـ أنّ الحالـة بين المسـلمين إذا شاكلت الحالـة بين المسـلمين

---

۱ . تفسير النيسابورى فى هامش تفسير الطبرى:۳/۱۷۸. (۸۲)

والكـافرين حلّت التقيـة محامـاة عن النفس، وقـال: التقيـة جـائزة لصون النفس، وهـل هى جـائزة لصون المـال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله – صـلّى الله عليه وآله وسـلّم ـ : «حرمة مال المسـلم كحرمة دمه»، وقوله – صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ : «من قتل دون ماله فهو شهيد» .(۱) ۳. ينقل جمال الدين القاسمى عن الإمام مرتضى اليمانى فى كتابه «إيثار الحق على الخلق» ما نصّـه: وزاد الحق غموضاً وخفاءً أمران: أحـدهما: خوف العارفين ـ مع قلّتهم ـ من علماء السوء وسـلاطين الجور وشـياطين الخلق مع جواز التقيـة عند ذلك بنص القرآن، وإجمـاع أهـل الإسـلام، وما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق، ولا برح المحق عـدوّاً لأكثر الخلق، وقـد صـحّ عن أبى هريرة ـ رضـى اللّه عنه ـ أنّه قال ـ فى ذلك العصـر الأوّل ـ: حفظت من رسول اللّه – صـلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعاءين، أمّا أحدهما فبثثته فى الناس، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم.(۲) ______________

۱ . مفاتيح الغيب:۸/۱۳ فى تفسير الآية.

۲ . محـاسن التأويل:۴/۸۲. (۸۳) ۴. وقـال المراغى فى تفسـير قوله سـبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِـاللّهِ مِنْ بَعْـدِ إِيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَـان): ويـدخل فى التقية مداراة الكفرة والظلمة والفسـقة، وإلانة الكلام لهم، والتبسّـم فى وجوههم، وبذل المال لهم، لكف أذاهم وصيانة العرض منهم، ولا يعد هذا من الموالاة المنهى عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبرانى قوله – صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ : «ما

وَقَى المؤمن به عرضَه فهو صدقة».(۱) إنّ الشيعة تتقى الكفّار فى ظروف خاصة لنفس الغاية التى لأجلها يتّقيهم السنّى، غير أنّ الشيعى ولأسباب لا ـ تخفى، يلجأ إلى اتّقاء أخيه المسلم لا لتقصير فى الشيعى، بل فى أخيه الذى دفعه إلى ذلك، لأنّه يدرك أنّ الفتك والقتل مصيره إذا صرّح بمعتقده الذى هو عنده موافق لاُصول الشرع الإسلامى وعقائده، نعم كان الشيعى وإلى وقت قريب يتحاشى أن يقول: إنّ اللّه ليس له جهة، أو أنّه تعالى لايُرى يوم القيامة، وإنّ المرجعية العلمية والسياسية لأهل البيت بعد ________________

۱ . تفسير المراغى:۳/۱۳۶. (۸۴)

رحلة النبى الأكرم، أو أنّ حكم المتعة غير منسوخ. إنّ الشيعى إذا صرّح بهذه الحقائق ـ التى استنبطت من الكتاب والسنّة ـ سوف يُعرّض نفسه ونفيسه للمهالك والمخاطر. وقد مرّ عليك كلام الرازى وجمال الدين القاسمى والمراغى الصريح فى جواز هذا النوع من التقية، فتخصيص التقية بالتقية من الكافر فحسب، جمود على ظاهر الآية وسد لباب الفهم، ورفض للملاك الذى شُرّعت لأجله التقية، وإعدام لحكم العقل القاضى بحفظ الأهم إذا عارض المهم. وقد مرّ الكلام عن لجوء جملة من كبار المحدّثين إلى التقية فى ظروف عصيبة أوشكت أن تودى بحياتهم وبما يملكون، وخير مثال على ذلك ما أورده الطبرى فى تاريخه(۱) عن محاولة المأمون دفع وجوه القضاة والمحدّثين فى زمانه إلى الإقرار بخلق القرآن قسراً وقد علموا انّ إنكاره يستعقب قتل الجميع دون رحمة، ولما أبصر أُولئك المحدّثون لَمَعان، حد السيف عمدوا إلى مصانعة المأمون فى دعواه وأسرّوا معتقدهم ________________

۱ . تاريخ الطبرى:۷/۱۹۵ـ۲۰۶. (۸۵)

فى صدورهم، ولمّا عُوتبوا على ما ذهبوا إليه من موافقة المأمون برّروا عملهم بعمل عمّار بن ياسر حين أُكره على الشرك وقلبه مطمئن بالإيمان، والقصّة شهيرة وصريحة فى جواز اللجوء إلى التقية التى دأب البعض بالتشنيع فيها على الشيعة وكأنّهم هم الذين ابتدعوها من بنات أفكارهم دون أن تكون لها قواعد وأُصول إسلامية ثابتة ومعلومة. (۸۶)

الآثار البنّاءة للتقية

الآثار البنّاءة للتقية إذا ساد الاستبداد المجتمعَ الإنسانى وصودرت فيه الحريات وهُضمت فيه الحقوق وأُخمدت فيه أصوات الأحرار، فحينئذ لا تجد الأقلية المهضومة، حيلة سوى اللجوء إلى التقية والتعايش مع الأمر الواقع، وهذا الأمر وان يتلقّاه البعض أمراً مرغوباً عنه، ولكن الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ ـ كما سيوافيك كلامه ـ يصفه بأنّه رخصة من اللّه تفضّل اللّه بها على المؤمنين. كيف و قد يترتّب على ممارسة التقية آثار بنّاءة تتلخّص فى الأُمور التالية: ۱. حفظ النفس والنفيس إنّ ممارسة التقية والمداراة مع الظالم المستبد يصون (۸۷)

الأقلية من البطش والكبت والقتل ومصادرة الأموال بخلاف عدم ممارستها فانّه يعرّضها للقتل والفناء، ولذلك يعبر عنها بالترس والجُنّة ، قال الإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ : «إنّ التقية ترس المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقية له».(۱) وقال ـ عليه السَّلام ـ : «كان أبى يقول: وأى شىء أقرّ لعينى من التقية، انّ التقية جُنّة المؤمن».(۲) روى شيخنا المفيد قال: كتب على بن يقطين (الوزير الشيعى للرشيد) إلى الإمام الكاظم ـ عليه السَّلام ـ يسأله عن الوضوء؟ فكتب إليه أبو الحسن ـ عليه السَّلام ـ :«فهمت ما ذكرت من الاختلاف فى الوضوء، والذى آمرك به فى ذلك أن تمضمض ثلاثاً، و تستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلّل شعر لحيتك، وتغسل يديك من أصابعك إلى المرفقين ثلاثاً، وتمسح رأسك كلّه، وتمسح ظاهر أُذنيك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً، ولا تخالف ذلك إلى غيره. فلمّا وصل الكتاب إلى على بن يقطين تعجب مما رسم ________________

۱ . الوسائل:۱۱، الباب۲۴ من أبواب الأمر بالمعروف، الحديث۴و۶.

۲ . الوسائل:۱۱، الباب۲۴ من أبواب الأمر بالمعروف، الحديث۴و۶. (۸۸)

له أبو الحسن ـ عليه السَّلام ـ فيه ممّا أجمع العصابة على خلافه، ثمّ قال: مولاى أعلم بما قال: وأنا أمتثل أمره، فكان يعمل فى وضوئه

على هـذا الحد، ويخالف ما عليه جميع الشـيعة امتثالاً لأمر أبى الحسن ـ عليه السَّلام ـ، وسُعِىَ بعلى بن يقطين إلى الرشـيد، و قيل: إنّه رافضـى، فامتحنه الرشـيد من حيث لا يشـعر، فلمّا نظر إلى وضوئه ناداه: كـذب يا على بن يقطين من زعم أنّك من الرافضة، وصـلحت حـاله عنـده، وورد عليه كتـاب أبى الحسن ـ عليه السَّلام ـ : «ابتـدأ من الآـن يـا على بن يقطين و توضّأ كمـا أمرك اللّه تعالى، اغسـل وجهـك مرة فريضـة وأُخرى إسـباغاً و اغسل يـديك من المرفقين كـذلك، وامسـح بمقـدم رأسك وظاهر قـدميك من فضل نـداوة وضوئك، فقد زال ما كنّا نخاف منه عليك، والسلام».(۱) ترى أنّ الإمام أنقذ على بن يقطين من الموت من خلال أمره بالتقية وكم له فى التاريخ من نظير، و كفى شاهداً قصة عمّار و أبيه وأُمّه المتقدّمة. ________________

۱ . الوسائل:۱، الباب۳۲ من أبواب الوضوء، الحـديث۳. (۸۹) ۲. حفظ وحـدة الأُمّـة لا شكّ انّ وحـدة الكلمة هى مصدر قوة الأُمّة وازدهارها، وهى حبل اللّه الوثيق الـذى لابـدّ من الاعتصام به، حيث قال فى محكم كتابه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا).(۱) فقد عدّ سـبحانه التفريق والتشـرذم والتشتت عذاباً يستأصل الأُمّة ويستنفد قواها، قال سبحانه: (قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرجُلِكُمْ أَو يَلْبِسَـكُمْ شِـيَعاً ويُـذِيقَ بَعضَـكُمْ بَأْسَ بَعْض). (۲) إلى غير ذلـك من الآيات الحاثّة على الوحـدة والمحذِّرة من التفرق والتبدد. وتشريع التقية يعين على الوحدة ويمسك الأُمة عن التبدد، فلذلك يصفها الإمام بأنّها «رخصة تفضّل بها اللّه على المؤمنين رحمة لهم». ________________

۱ . آل عمران:۱۰۳.

۲ . الأنعام:۶۵. (۹۰) وهـذ لا يعنى الإفراط فى ممارسـة التقيـة حتّى إذا توفرت الفرص المناسـبة للتعبير عن رأيه ومنهجه، فعند ذلك تحرم التقيـة، لأنّه يترتـب عليها طمس الـدين وكتمان الحقيقة. ۳. الحفاظ على القوى من الاسـتنزاف إنّ الجماعة المهضومة، بممارسـة التقية تحمى قواها وطاقاتها من الاسـتنزاف، وبالتالى تربّى جماعة واعية لأهدافها، فإذا هبّ على مجتمعهانسيم الحرية فيتيسّـر عندها أن تُجاهر بأفكارها وآرائها دون أى خوف أو وجل و تطالب بحقوقها، وهـذا من آثار التقيـة حيث صانت الجماعة الضـعيفة من اسـتنزاف قواها. وبما انّ هـذه الآثار البنّاءة تعبير واضـح للرحمة، التى أشار إليها الإمام أمير المؤمنين، نأتى بنص كلمته: روى الشـريف المرتضـى فى رسالة «المحكم والمتشابه» نقلاً عن «تفسير النعمانى» عن على ـ عليه السَّلام ـ أنّه قال :«و انّ اللّه منّ على المؤمن بإطلاق الرخصة له عند التقية فى الظاهر، أن (۹۱)

يصوم بصـيامه ويفطر بإفطاره ويصـلّى بصـلاته ويعمل بعمله ويظهر له اسـتعمال ذلك، موسـعاً عليه فيه، وعليه أن يـدين اللّه تعالى فى البـاطن بخلاـف مـا يظهر لمـن يخـافه مـن المخـالفين المستولين على الأُمّـة، فهـذه رخصـة تفضّـل اللّه بهـا على المـؤمنين رحمـة لهم ليستعملوها عند التقية فى الظاهر».(۱) والحمد للّه الذى بنعمته تتم الصالحات ________________

۱ . الوسائل:۱، الباب ۲۵ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث۱.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آيـة الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِـم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةٌ و طريقةٌ لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز" القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.


مرکز القائمیة اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹